طين الكلمات

خالد مَعدّل

أنفقتَ عمركَ راحلاً
بين المواجعِ والقصيدْ
أحيتْك أوّلُ قبلةٍ
من ثغر أمكَ
فاشتعلتَ
كزهرة الرّمان
في ثغر الوليدْ
طيّرتَ أسرابَ الحمائمِ
من نزيف الروحِ
للقمر البعيدْ
ماذا تريدْ؟!

أتعبتَ قامتَكَ التي اهترأتْ
وأنت تهزُّها
لتصوغ من صلصالِ حلمك
فجرك الآتي
وتنفخَ روحَ خلقٍ
في موات الأرضِ
لكنْ... لا جديدْ

ها أنت منكسرٌ على طين الحروف
تقول:
«إنّ الأهلَ أهلي
والبلاد تُظلّني أشلاؤها»
في كحل روحك تستحمُّ جفونُها
تكبو، وتنهض في لجامكَ
تمتطيكَ لصوصُها
وتظلّ منسيّاً
يدثّرك الغبار على الرصيف!

ما زلت محفوفاً بسور القهرِ
تتلو سورة التكويرِ،
تبحث عن جوادٍ أدهمٍ
ورحيق قبله
قدماك يجترّان أشواكَ الدروبِ
تخال أنك مرسلٌ
بعصاكَ تنفلق البحارُ
ومن عباءتكَ العتيقةِ...
ينجلي وجه النهارْ

ماذا تخبّئ تحت جلدك
أيها المأفونُ..
من قمح القصائدِ
من غبار الفتحِ
من خمر الغضارْ؟!
أجهشتَ إذ صلبوكَ
من أقصى اليمينِ، الى اليسارِ
وعلّقوك على القصيدةِ
لا رداءَ...
ولا إزار!!

أشعلتَ نارَكَ في الحروف
ورحتَ تخطب في النخيلْ
يا أيها الشجرُ القتيلْ!
يا نبعة الغضب الجميلْ!
يرتدّ صوتُك خاسئاً
ما بين «قانا» و «الخليل»
لكنّ آلهةَ البلادِ
أقضّ مضجعَها الهديل
رحموك إذ قصّوا لسانك
أطفأوا عينيكَ
سلّوا، من يديك، الإصبع الوسطى
فلا حزنٌ عليكْ
ها أنت تنعم بالأمانِ
وأنت حرٌّ...
إنما أنت عَيٌّ أبكمٌ
عند البيانْ

وجه المدائن مطفأٌ
والذئب يحرس روضة الأطفالِ
في القدس الشريفْ
نسيتْ غصون الغار نضرتَها
وأعشبتِ الحروب
حيث المدائن تحتسي أقداحها
خلساً، وتكحل جفنها
بدم الحبيبْ!!

لا تحزني يا زهرة الصبّار
قد جاء المخاضُ
وأينعت نطفُ الدماءْ
صبراً، فأصلي ثابتٌ في الأرض
ممتدٌّ شموخاً للسماءْ

«إن كنت لا تدري
فتلك..جهالةٌ»
بل كيف تدري
والجهالة مطلبُ؟
أنفقتَ عمرك متعباً
ونسيتَ أنك متعبُ
فاضْمم جناحك
والثم الطينَ المخضّبَ
إنه بك يخصبُ.

حلب (سوريا)